"إشكالية النقل الثقافي للمقاييس النفسية وموجهاته المنهجية"

د. عبد العزيز حدار
أستاذ محاضر "أ" بقسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا
جامعة سعد دحلب. البليدة

ملخص

تطرح إشكالية النقل الثقافي للمقاييس النفسية وتكييفها حسب البيئة الجزائرية تحديا أكاديميا وإمبريقيا على الباحثين و المختصين النفسانيين والتربويين، فقد لوحظ أن معظم الباحثين في هذا المجال لا يولون أهمية لمثل هذه العملية، ويعتبرونها مجرد إجراء عملي ثانوي يقوم به الباحث ليتأكد من صلاحية هذا المقياس أو ذاك في البيئة الجزائرية ، لذلك غالبا ما يكتفون بالتحقق من الخصائص السيكومترية للمقياس من صدق وثبات بأشكالهما المختلفة في أحسن الأحوال، مع أن عملية النقل الثقافي هي أوسع من ذلك ,وأعمق وأشمل حيث ، بالإضافة إلى التحقق من الخصائص السيكومترية للمقاييس، فإن هناك ما يعرف بالصدق الثقافي الذي يتضمن التحقق بجدية من عناصر الملاءمة حتى يكتسب المقياس الصلاحية والقبول وفق البيئة الجزائرية، فكل أداة قياس يتم ترجمتها ونقلها من النسق الثقافي المصدر إلى لنسق الثقافي المستهدف، ينبغي تحقيق الملاءمة مع ظروف المفحوص نفسه، وقيم ومعايير مجتمعه. وتكييف إجراءات القياس ذاتها. لهذه الاعتبارات وغيرها ، نحول من خلال هذا المقال التطرق لبعض الموجهات المنهجية التي تتأسس عليها هذه العملية ، وتناولها في جميع أبعادها السيكومترية والمفاهيمية والإجرائية ، والثقافية، وتقديم بعض الاقتراحات التي من شأنها جعل النقل الثقافي للمقاييس أكثر مصداقية،وهذا في انتظار الخطوات الأكثر عمقا وشمولية، و التي تمس النقل الثقافي للنظريات والمفاهيم.

الكلمات المفتاحية : المقاييس النفسية ، النقل الثقافي ، التكييف ، السياق الثقافي

RESUME:

Cette étude pose la problématique de la validation des tests psychologiques dans le contexte psycho-social algérien, c'est que la simple validation des caractéristiques psychométriques des tests ne suffit a les adapter; ce qui nous conduit a remettre en cause la pertinence des tests standardisés et non contextualisés. une démarche scientifique plus approfondie et plus large qui touche le cote culturel ou la validation culturelle est plus que nécessaire.

Malgré que cette problématique soulève des questionnements multiples et complexes, Cet article propose certaines orientations méthodologiques dans la concrétisation de ce type de validation, comme il suggère des propositions susceptibles de rendre l'adaptation culturelle plus fiable

مدخل ابستمولوجي :

إن العلم لا يمكن تصوره إلا نظاما ثقافيا حيث يستمد تصوراته، ومختلف أشكال نشاطه ،وأدواته من النظم الاجتماعية،وبالتالي يستمد مبررات وجوده ونموه وتطوره ووجهته من هذا الوعاء الثقافي، فالتطور العلمي ليس انبعاث ارتجاليا تلقائيا يحدث خارج إطار الثقافة المجتمع.

من جهة أخرى ، فإن أي اكتساب لمعارف علمية جديدة تسبقها أحكام قيمية ثقافية توجه دراستها وبحثها واكتشافها.مثلما أن الثقافة هي التي تمنح للباحثين فرصة أن يكونوا على دراية ووعي بالمشكلات التي تواجه المجتمع، وهي التي تدفعهم إلى البحث عن الحلول، وتؤهلهم للقيام بهذه المهمة.

وبالمحصلة، فإن النظريات العلمية تتأثر بثقافة المجتمع الذي انبثقت فيه،وعصره، وتصوراته، وقيمه، ومعاييره، لذلك لا يمكن فهم أي نظرية ، بما تنطوي من افتراضات ونسق استنباطي و تفسيري ، ومفاهيم ، وأدوات ،فهما صحيحا ، ما لم يتم معرفة تاريخها وسياقها الاجتماعي الثقافي بالدرجة الأولى. مثلما يجب أن تقترن كل فكرة بتاريخها، حسب راندل، ليمكن فهمها فهما صحيحا.

ويؤكد هذا الطرح ما لاحظ ماكس فيبر (Max Weber) في نهاية القرن التاسع عشر على أن الاعتقاد بقيمة الحقيقة العلمية لم يستمد من الطبيعة، ولكنه نتاج ثقافات محددة (في صالح قنصوه.2008) (1) حتى لو أن بعض يحاول أن يجعل منشأ هذه المعرفة العلمية والنظريات وشروط وجودها ونموها خارج الوعاء الاجتماعي والثقافي، بمعنى أن يفصل رؤيتنا للواقع الاجتماعي والظواهر النفسية السلوكية ، ودراستهما بمعزل عن خلفيتنا الثقافية. ويؤكد توماسيللو(2006) في هذا الصدد ما ذهب إليه الفيلسوف فيتجنشتين وفيجوتسكي من أننا كبشر كبار ناضجين لا نستطيع أن ننزع عن عيوننا نظارتنا الثقافية، ونرى العالم متجردا من الثقافة، أي عالما غير مصبوغ بثقافتنا .(2)

فعلى الرغم من مزاعمها المبدئية ، كما يقول غورفيتش، في أن تكون "فوق الالتباس"، أي أن تكون منفصلة عن الأطر الاجتماعية (الثقافية)، فإن المعرفة العلمية لا تتمتع إلا باستقلال نسبي، ففي كل معرفة علمية تتدخل المعاملات الاجتماعية (الثقافية) تدخلا قويا على قدر ما تكون المعرفة متطورة (غورفيتش.2008) (3)

ويتقلص مجال هذه الاستقلالية أكثر في نظريات العلوم الإنسانية والاجتماعية، فالنظرية الداروينية – على سبيل المثال- أقحمت في علم الحياة مبدأ التنافس، وهو مبدأ أساسي في النظام الرأسمالي، وبالتالي تكشف هذه النظرية عن تشبعها الثقافي وطابعها الإيديولوجي بشكل جلي.

علم النفس "منتوج ثقافي" :

لا يشذ علم النفس بجميع تخصصاته ، عن هذه الحقيقة ، ر غم محاولة البعض إعطائه صبغة حيادية عالمية لتعميم نظرياته، بافتراضاتها ومفاهيمها وقوانينها وأدواتها على جميع الأنساق الثقافية المختلفة ، أو ما يسمى بالأحزمة الثقافية وفق تصنيف علم النفس عبر الثقافات. وفي هذا الشأن يشير (Pewzner-Apeloig. 2005) أن علم النفس الذي أنتج في الغرب، و من قبله، "كمنتوج ثقافي" أسند له قيمة عالمية، لكن منذ أقل من نصف قرن، فإن الالتقاء بوقائع تاريخية وثقافية أجنبية عن العالم الغربي، واكتشاف نماذج مختلفة، قد عمل على اهتزاز الثقة العمياء في التفوق الذي لا يمكن سبقه للمعرفة الغربية، وإن قراءة سريعة لتاريخ مفهوم علم النفس والتخصص يحدد الأصل الثقافي لهذا العلم، ويبرر وجاهة التساؤل حول القيمة العالمية لمفاهيم علم النفس التي نشأت و تبلورت في السياق الغربي.(4)

وأبعد من ذلك ،فقد عبر باحثون من أحزمة ثقافية غير الحزام الثقافي لشمال أمريكا (الولايات المتحدة وكندا) عن امتعاضهم من هيمنة النظريات الأمريكية على باقي الأحزمة الثقافية الأخرى، ومنها الحزام الأوروبي ، إذ بدأ الحديث في الأوساط العلمية

الأوروبية عن ضرورة مواجهة هذا المد السيكولوجي الأمريكي أو الهيمنة الثقافية الأمريكية، بما سمي في هذه الأوساط "بسيكولوجيات المعارضة" ويكشف (Tiberghien et Beauvois. 2008) عن هذا المنحى بقولهما: " أن السيكولوجيات المعارضة (Psychologie de l'opposition) التي تتضمن علم النفس الناقد، وعلم النفس البديل، تنتقد السيكولوجية الأمريكية المهيمنة ذات المزاعم البارادجمتية. حيث النقد الأساسي الموجه لعلم النفس الأمريكي هو أنه يتضمن قيم، ومبادئ، وافتراضات الجماعات المهيمنة في الثقافة"(5)

هذا وحتى داخل النسق الثقافي الغربي الواحد ،يتخذ الباحثون والأخصائيون الفرنسيون موقفا متحفظا في استخدام نظريات إكلينيكية أمريكية وتعميمها على المجتمع الفرنسي. وتشير (Ameli et al 2002) أنه على الرغم من عدم وجود معطيات تتعلق بالاختلافات بين الفرنسيين وسكان أمريكا الشمالية. كما لا يمكن أن نقلل من الروابط المشتركة للثقافة الأمريكية، غير أنه من المهم ألا نهمل التباينات التي تميز المجتمعين (6). مثلما توضحه دراسة حديثة (Swendsen et Compagnone 2000) حول النظرية المعرفية للاكتئاب، لذلك يدعو هؤلاء المختصون إلى ضرورة تحديد طبيعة وشدة تأثير الاختلافات الثقافية على المتغيرات الأساسية للعديد من النظريات المعرفية التي تمت صياغتها في الأدبيات الأمريكية، ويعتبرون ذلك شرطا أساسيا يسمح بالاستعمال الإكلينيكي المنسجم للتناول المعرفي في فرنسا (7).

وفي سياق متصل بوجه عام ،يشير كل من (Kim et Berry.1993) إلى أن علم النفس الغربي يواجه مشكلتين أساسيتين هما :

أولا– مشكلة المصداقية الداخلية أو يسمى "بالعماء الثقافي" فهو علم جد اختزالي لأن نظرياته تتجاهل الكثير من العوامل التي تؤثر في السلوك الإنساني داخل النسق الثقافي الذي تجذر فيه

ثانيا– مشكلة المصداقية الخارجية أو ما يسمى "بالقيد الثقافي" إذ لا يمكن تعميم نتائجه وقوانينه ومفاهيمه و أدواته على الثقافات الأخرى.

لهذه الاعتبارات وتلك، فإن عملية التعميم تحتاج إلى موجهات وإجراءات أو آليات للنقل الثقافي من السياق الثقافي المصدر إلى السياق الثقافي المستهدف حتى يمكن التحقق من صلاحية هذه النظريات بعناصرها . وتشكل المقاييس النفسية إحدى هذه العناصر التي تحتاج إلى تكييف ثقافي بالدرجة الأولى لكي يتسنى استخدامها بشكل وجيه.

النقل الثقافي للمقاييس النفسية :

تعمل حاليا اللجنة الدولية للمقياس (ITC) على ترجمة المقاييس الأكثر استخداما وتداولا،و التحقق من صدقها الثقافي، بجعلها أدوات عابرة للثقافات أو "عادلة"، وفي فرنسا أخذت هذه القضية اهتماما أوسع بحلول سنة 2008 من خلال عقد مؤتمر للإجماع، حضره أخصائيون نفسانيون حيث تم مناقشة الجوانب البينثقافية للتقدير والقياس النفسي في فرنسا. وتقوم العديد من الجامعات ومراكز البحث والمخابر في مختلف البلدان على اختلاف أحزمتها الثقافية بعملية النقل الثقافي للمقاييس ، لاستخدامها بعد ذلك الاستخدام الأمثل، بعدما تبين أن كل مقياس مستورد من حزام أو سياق ثقافي معين متشبع بخصوصيات هذا الوعاء ومتحيزا ثقافيا، ولذلك ينبغي تكييفه إذا أرد استخدامه في السياق الثقافي المستهدف.

أ – التحيزات الثقافية في المقاييس الغربية

حددت (le Du.2009) ثلاثة أشكال من التحيزات الثقافية التي تمس المقاييس وهي :

1– تحيز المكون: حينما لا نجد للمفهوم المراد قياسه نظيرا له في الجماعات الثقافية الأخرى ، نتحدث إذن عن تحيز المكون ، وعليه، فإن الاختبارات الإسقاطية الغربية تتمسك بإبراز التعبير عن الصراع البينشخصي، بينما أكدت دراسات حديثة على أفراد صنيين (Kuo-Shu Yang .2006) تحلي الوالدين الصينين بالإخلاص و التضحية في تربية أبنائهم. الأمر الذي يفضي لدى هؤلاء الأبناء بالشعور بالدين. كما أن الفلسفة الكونفوشوسية تدعو إلى النظام واحترام الأسلاف، وهي العوامل التي تجعل التعبير الحر عن الصراعات العائلية جد صعب.

2– تحيز الطريقة: يكمن تحيز الطريقة الأساسي في العرف الغربي الضمي الذي يفيد بأنه من مصلحة كل فرد أن يظهر أداء معرفيا جيدا في كل الظروف. بينما تعتبر ثقافات أخرى الذكاء كوسيلة تستخدم لأداء دور اجتماعي محدد.

وقد دلت دراسة (Yang et Strenberg.1997) أن صيني تايوان يراعون الأهمية الإستراتيجية في الكشف عن الذكاء أو إخفائه، فاختيار في أن تظهر بمظهر الجاهل في بعض الظروف يعد فطنة وذكاء .

من جهة أخرى يعد "الحديث الثنائي " أو المقابلة بين الفاحص والمفحوص على انفراد من منظور غربي ، أفضل وسيلة للتواصل البينشخصي، وأسلوب جد مناسب لإقامة تقارب محترم، وثقة واحترام متبادل وحميمية، بينما تفضل ثقافات أخرى الحوار ضمن الجماعة، حيث يشعر المفحوص بالخطر في الوضعيات الثنائية.

كما يمكن ملاحظة تحيز الطريقة كذلك أثناء تطبيق المقياس حيث يجري التأكيد على سرعة تنفيذ مهمة معينة في زمن قياسي، بينما الأداء الزمني يبقى أقل تثمينا في بعض الثقافات ،إذ يأخذ مفهوم الزمن أهمية ودلالة أخرى

3– تحيز البنود: ينتج تحيز البنود من صعوبة الترجمة، وفقر وغموض العبارات، واستعمال لغة ضمنية. ويفترض في صدق المقياس تكافؤ صارم للترجمات، فالترجمة تتطلب المرور من العالم المصدر الذي يتضمن لغة، وثقافة، ومجال دلالي، إلى العالم المستهدف المماثل:

ويمكن أن يؤدي استخدام مقياس مصمم في لغة معينة إلى تجاهل في الثقافة المستهدفة بعض الجوانب الخاصة للظاهرة المدروسة، ما يفضي إلى استنتاجات قائمة على مفاهيم لا تجد وجاهتها إلا في الثقافة المصدر.(Baubet et in Moro.2009) (8)

فقد كشفت دراسة لغوية (Van de Vijver et Tanker .2004) حول مقياس الذكاء (K-ABC) الذي أجريت على تلاميذ من أصول شمال أمريكا، وآخرين من أصول مكسيكية، أن 58 بندا لفظيا من أصل 92 كان متحيزا. (9)

ب – التحقق من صدق النقل الثقافي أو الملاءمة الثقافية للمقاييس:

إن أي عملية نقل للمقاييس النفسية، من السياق الثقافي المصدر إلى سياق ثقافي آخر،يستدعي التحقق من صلاحيتها ، وذلك بتكييفها تكييفا ثقافيا في المقام الأول.هذه العملية تتطلب احترام بعض من إجراءات النقل الثقافي أو ما يسمى كذلك بملاءمة الثقافية .ونعني بذلك: ملاءمة هذا المقياس لبيئة المفحوص وثقافته ومعاييرها وقيمها ، وتشمل العديد من العناصر، أهمها :

1/ سلامة الترجمة :

بين (Grunert et al.1993) الصعوبات والمشاكل التي تواجه الباحث لضمان صدق المقاييس عند ترجمتها وتطبيقها في سياقات ثقافية تختلف عن السياق الذي صممت فيه :

ا.**المشكل الأول**: يتعلق بحقيقة المفهوم المراد قياسه.

هل هو نفس المفهوم بالنسبة للثقافتين؟

ب. المشكل الثاني : يمكن أن يظهر على مستوى التعبير اللفظي للمفهوم (الترجمة الحرفية قد تولد فهما مختلفا للمفهوم) (10)

ويقترح (Berry) أن يكون الهدف مت الترجمة هو الحصول على مقاييس تقدم بنودها للمستجوبين معان مماثلة للمعاني التي تحملها في صورتها الأصلية (التكافؤ المفاهيمي) (conceptual equivalence)

فالترجمة الحرفية للمقياس ليست كافية لتضمن تكافؤ معنى المقياسين (McGorry.2000) ، الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى حث الباحثين على أن يكون اهتمامهم الرئيس في ترجمة المقاييس ينصب نحو تقديم أدوات قياس متكافئة ثقافيا، أو تحمل نفس المعنى الذي تحمله المقاييس الأصلية.(11)

ج.**المشكل الثالث** : يمكن إضافة هذا النوع من المشاكل حين يتعلق الأمر بتطبيق المقياس على عينة أمية، أو ضمن ثقافة فرعية حيث تستدعي العملية القيام بترجمة ثانية من اللغة العربية الفصحى إلى اللغة الدارجة أو المتداولة.

ولتحقيق سلامة الترجمة، تستخدم عدة طرق منها :

1.الطريقة التقليدية : يقوم الباحث بمفرده، أو بمساعدة مترجمين متمرسين بترجمة بنود المقياس.وتتمثل حدود في عدم التحكم في اللغة، أو الترجمة الحرفية، أو نقص الإطلاع الجيد من قبل الباحث المترجم على الثقافة المصدر، بقيمها ومفاهيمها ولغتها الضمنية. كما تتأثر بالمميزات اللغوية لتخصص المترجمين المساعدين(ترجمة عامة غير متخصصة)

2.طريقة اللجنة: يقوم بالترجمة مجموعة من الباحثين المتحكمين في اللغتين، مع استشارة الباحث.

3. طريقة الترجمة المعكوسة : تقوم مجموعة من الباحثين بترجمة البنود إلى اللغة المستهدفة، ثم تقدم هذه الترجمة إلى مجموعة أخرى لتقوم بترجمتها من اللغة المستهدفة إلى اللغة المصدر أو الأصل، ثم تتم مقارنة بين هذه الأخيرة والنسخة الأصلية لبحث أسباب الفروق في النموذجين.

4.طريقة الترجمة الرجعية: يقوم مترجم (ينتمي إلى اللغة المستهدفة) بترجمة المقياس، ثم يقوم مترجم آخر (ينتمي إلى اللغة المصدر أو الأصل) بإعادة ترجمة هذه الصورة مرة أخرى إلى لغتها الأصلية.

5. طريقة الترجمة الموازية العمياء: يقوم المترجمون في نفس الوقت، بترجمة المقياس إلى اللغة المستهدفة بطريقة مستقلة، ثم يشرع في مقارنة صور الترجمات للوصول إلى الصورة النهائية للترجمة، بمشاركة جميع المترجمين في لقاء مشترك.

وتتجلى الصرامة العلمية في عملية تحقيق الصدق الثقافي حتى بين الأنساق الثقافية ذات الأصول الواحدة في المجتمع الكندي بين الباحثين الفرنكوفونيين والأنجلوفونيين، حيث يقترح

(Vallerand.1989) تناولا نسقيا يتضمن سلسلة من المراحل حتى تتم عملية ترجمة مقياس من اللغة الانجليزية إلى اللغة الفرنسية، يتميز بالصدق والثبات. وتتمثل هذه الخطوات فيما يلي :

1/ إعداد طبعة أولية من المقياس (ترجمته من اللغة الأصلية إلى اللغة المستهدفة)

2/ تقييم وتعديل هذه الطبعة الأولية (مقارنة بين عدة ترجمات وتوحيدها في نموذج واحد)

3/ تقييم الطبعة المجربة باختبار قبلي وبعدي

4/ تقدير الصدق التلازمي وصدق المحتوى للمقياس

5/ تقدير الثبات

6/ تقدير صدق المكون

7/ صياغة المعايير(12)

2/ ضآلة الفروق الثقافية الكامنة في البنود:

غالبا ما تكون بنود المقياس مشبعة بثقافة البيئة التي صيغت فيه ، لأن البنود هي تعبير عن بعض مفردات النسق الثقافي المصدر، لذا يتوجب تكييفها حسب النسق الثقافي المستهدف. ومن هنا يعمد الباحث إلى تقليص الفروق الثقافية بدرجة كبيرة في محتوى البنود، أو العبارات، حيث يتم الاستغناء عن العبارة التي تكون مثقلة ومشبعة ثقافيا وتعبر عن خصوصية المجتمع الذي تم فيه تصميم هذا المقياس وصياغة بنوده وعباراته.واستبدالها بعبارة أكثر موضوعية أو ملائمة للثقافة الجزائرية.

3/ قدرة المكاشفة لدى المفحوص :

نعني بها قدرة المفحوص على التعبير الحر والإجابة عن بنود المقياس دون تمويه أو كذب أو كف، والتعبير الصريح عن أفكاره وانفعالاته وسلوكياته ،والإفصاح عنها دون مقاومة ، خاصة تلك الجوانب الحميمية، أوالمثقلة إنفعاليا، أو تلك التي تمس اعتبار الذات . ذلك أن المفحوص في المجتمعات ذات الأنساق المفتوحة لا يجد صعوبة في التعبير عن حميميته والمكاشفة و الإفصاح عن مكنونات ذاته، بينما تقل هذه القدرة في مجتمعات أخرى خاصة ما تعلق بالقضايا المتعلقة بما يسمى بطابوهات المجتمع. وبالتالي فإن هذه الفروق الثقافية من شأنها التأثير على صدقية نتائج المقياس، لاسيما إذا لجأ المبحوث إلى الكذب والتمويه والتضليل.

4/ ضآلة انطباع الغربة في التطبيق :

ويعني بذلك عدم إحساس المفحوص أنه أمام موقف جديد غريب عنه، حين يجرى المقياس. وقد يستدعي الأمر مدة زمنية معينة حتى يتكيف المفحوص مع موقف القياس والمقياس في حد ذاته. ففي كثير من الحالات، يشكل الخضوع لإجراء مقياس معين، موقفا جديدا لدى المفحوص، يتولد عنه شعور بالغربة أمام هذه الوضعية الجديدة، وما تفرزه من إثباط ،وكف، ومقاومة، وكبت، وتمويه، وكذب ، وتلاعب لدى المفحوص ، ما يؤثر على استجاباته وإجاباته.

5/ تكافؤ الدلالة السيكولوجية لمفاهيم المقياس:

تطرح إشكالية معقدة في هذا العنصر، بحيث نعتبر أنفسنا مستوردين للتراث السيكولوجي الغربي الحديث، فيما نعاني من ندرة الدراسات المعمقة الأصيلة التي تطرح مفاهيم خاصة بثقافة المجتمع الجزائري، وبالتالي يمكن على أساسها إجراء عملية مقارنة وتكافؤ، لذلك سنظل نواجه مشكلة ضعف التكافؤ المعنى (أو التكافؤ المفاهيمي) بين المفهوم في لغته الأصلية، وفي لغته المترجمة ،ومع ذلك نحاول أن نفكك هذا المفهوم المستورد إلى أبعاده وعناصره ، وتقريبه من فهم المفحوص، فالصبر كمفهوم خاص في ثقافتنا لا يكافؤه أي مفهوم سيكولوجي غربي آخر.

6/ التوافق المعياري للسلوك السوي أو الشاذ:

توجد عدة معايير لتحديد السواء والشذوذ، ومن بينها المعيار الاجتماعي الثقافي الذي يفيد أن الشذوذ هو انحراف وانتهاك لقيم ومعايير ثقافة المجتمع . وإذا كانت هناك اختلافات في قيم ومعايير كل مجتمع ، فهناك بالضرورة اختلاف في تحديد السلوك السوي والشاذ في تصميم المقياس، لذلك فإن الكثير من السلوكيات التي تعد معيارا للسواء والصحة النفسية في المجتمع الغربي ، قد تعتبر نقيض ذلك في المجتمع الجزائري. هذا ما يجعل التكييف المعياري للسلوك السوي والشاذ جد ضروري في عملية النقل الثقافي

خاتمة

هذه بعض الأساليب التي يتوجب على الباحث الجزائري أن يراعيها في عملية النقل الثقافي للمقاييس ، فلا يحصر تدخله في مسألة التحق من الخصائص السيكومترية للمقياس من صدق وثبات بأنواعها، وإنما يلجأ بالدرجة الأولى إلى التحقق من عناصر الملاءمة الثقافية، وحتى إن اعتبر أن هذا التكييف أو النقل عملية جزئية لا تفي بالغرض، بما أن عملية النقل و الملاءمة هي أشمل من ذلك حيث تمس المفاهيم، والنظريات.

وختاما إننا لا ندعي تقديم كل الشروط والإجراءات اللازمة لعملية النقل الثقافي ، و تحقيق الصدق الثقافي للمقاييس النفسية في هذا المقال، فتلك المسألة تتجاوز حدوده وأهدافه، بل إن ذلك ليتجاوز إمكانات الجهد الفردي المحدود، فعملية النقل الثقافي جد معقدة بشروطها ومبادئها وآلياتها، وتحتاج إلى تضافر الجهود، لكن حسبنا أننا نحاول أن نثير النقاش في هذه القضية، وتقديم بعض الموجهات والعناصر التي من شأنها استثارة الوعي مجددا والتقليل من مزالق ومخاطر الاستيراد والاستخدام المرتجلين لهذه المقاييس ، للانفكاك ولو جزئيا من "التبعية الإدراكية" كما يسميها عبد الوهاب المسيري. فقد يحثنا الوعي بالتمايز الثقافي من أن نقوم بتحجيم النظريات الغربية السائدة والمهيمنة،بافتراضاتها ومفاهيمها وقوانينها وأدواتها ومنهجها، أي وضعها في حدودها الطبيعية، والقضاء على أسطورة عالميتها.

المراجع :

1/ صلاح قنصوه (2008): **فلسفة العلم** ، دار التنوير، بيروت.

2/ ميشيل توماسيللو (2006) : **الثقافة والمعرفة البشرية** ، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

3/ جورج غورفيتش (2008) : **الأطر الاجتماعية للمعرفة** ، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ط 3.

4/Pewzner-Apeloig.E (2005):**Psychologie Universelle**: **La psychologie est–elle une production culturelle?** Annales médico-psychologiques.163(2005)107–117.

5/ Tiberghien ; G. , Beauvois J.-L (2008): **Domination et impérialisme en psychologie**. Psychologie française 53 135–155

6/Ameli R. Swendsen J, Compagnone P, Grillon C. (2002) : **Validité cross-culturelle de la théorie cognitive de la dépression** : **Une comparaison Franco/Nord-américaine**. Annales Médico-psychologiques, 160 : 362-368.

7/Swendsen J. Compagnone P. (2000) : **The expression of cognitive vulnerabilities for depression in daily life** : **a French – American study**. European psychiatry, 1 (supp 2.1): 22 – 28.

8/ Baubet.T , Moro.M.R (2009) : **Psychopathologie Transculturelle**. Masson. Paris.

9/ Van de Vijver F, Tanker NK (2004) : **Bias and equivalence in cross-cultural assessment**: **an overview**. Revue Européenne de psychologie appliquée.54.(4):119-135.

10/ Grunert S.C ; Grunert K.G; Krestensen.K (1993) : **Une méthode d'estimation de la validation interculturelle des instruments de mesure**: le cas de la mesure des valeurs des consommateurs par la liste des valeurs LOV". Recherche et application en marketing. Vol.4; 5 – 28.

11/ McGorry.S.Y (2000): **Measurement in a cross-cultural environment**: **Survey translation**. Qualitative Market Research: An international Journal. Vol.3 (2) 74-81.

12/ Vallerand.J.V (1989) : **Vers une méthodologie de validation trans-culturelle de questionnaire psychologique**. Implication pour la recherche en langue française. Psychologie canadienne. 30 (4) 662-679.